

إدراكه كل إنسان ؛ ولست أسمع
لأحد غيري باللعب فيه أبداً !
ثم قام فصنع له جداراً رفيعاً سور
به بستانه ، ورفع لوحة كتب عليها
هذا الإعلان :

سَيُحْزَرَى المخالفون
بشس الجزاء

فiale من مارد لا يؤثر أحدًا باللحب سواء !
ولم يبق حينذاك للأطفال المساكين ملعب
يرتمون فيه ، لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع
ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأتربة
والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر
الرفيعة — حين ينهون من دروسهم — لا يهين
بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، وبأيام
سمادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الريح وانتشرت بمقدمة الأزهار
والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا
المارد اللثيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار
لم يَمِينْها أن تفر في حين غاب عنه الأطفال ؛ وإن
الأشجار قد أنسيت أن تورق أو ترهق . . .
ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من
بين الأعشاب فها لها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان
تتمنع الصغار من غشيان البستان ، وانسلت هاربة
لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه .
ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير
« الثلج » و « الجليد » اللذين قالوا في نفسيهما :
— إن الريح قد أنسيت هذا البستان ،

المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الإنجليزي أوسكار وولف
بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيد

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد
واللعب فيه حين يعودون من المدرسة عصر كل يوم .
وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست
أرضه بالمشب الأخضر الطري ، وانتثرت في أرجائه
الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة
شجرة من أشجار الخوخ التي تتفتق في الربيع عن
أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلي ، تتحول
في الخريف إلى ثمار يانعة سائفة . وكانت الأطيار
فيه تعلى غصون الشجر وتفر في عذوبة تصرف
الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذون ،
فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول :

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه
الفيلاق ، بعد أن لبث معه سبع سنين ، أنهى
في خلالها كل ما أراد أن يحدثه به — فإن محادثته
كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد المملق إلى
قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون في البستان !
فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلاً :

— ماذا تصنعون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هارين ثم استأنف
المارد صراخه قائلاً :

— إنما هذا البستان ملكي ، وذلك ما يستطيع

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً .
وقفز من فراشه ، فإذا رأى ا

إنه لمنظر جد جميل ا
أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان
من خلال ثقب صغير وجدوه في أحد الجدران واعتلوا
الأغصان وبقوا هنالك جالسين . وقد اتبهج الشجر
بمقدمهم فأورق ، وثامس على رؤوسهم في حب وحنان ،
وكان الطير يشدو حيناً ويطير حيناً في جذل وابتهاج ،
والزهري ينو إلى ذلك بسام الثغور من بين الأعشاب
— إنه حقاً لمنظر بهيج ا

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الرواية القصية التي
وقف فيها أصغر الأطفال يعول طوراً ، ويطوف
بما حوله طوراً آحر ، والشجرة المسكينة التي بقربه
ما تزال شائبة .. إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول
إلى العين لصغره ؛ وكانت الريح الشمالية تعصف حوله ،
والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها الصبي الصغير ... ولكنك ما بقدر
على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :
— ألا ما كان أشد إشاري لنفسى ! لقد عرفت
الآن سبب انقطاع الربيع عن الحى إلى هنا ..
سأذهب إلى ذلك الطفل فأضعه على الشجرة ، ثم أنثى
على الجدار فأهدمه وأجعل من بستاني هذا ملعباً
وفقاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على
ما كان بدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح بابه في هدوء وسار
في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى أوغلوا
هرباً ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ؛ ولكن
صديقاً واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذى
ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه
وتسأل المارد إلى الطفل ورفقه بلطف فأجلسه

والدك فإنا سنحيا هنا طوال العام ا
وكذلك طنى « الثلج » على الأعشاب وأسبل
عليها حروف زوائه السابغ ، وانتشر « الجليد » على
الاشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ؛ ثم
إنهما أمراربح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرها ،
وجاءت ملتفة بالفراء تصفر طوال النهار خلال
البستان والمداخن ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ
يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر
بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول
البستان يطوف بأقصى ما أوتيه من سرعة ! لقد
كان برداً عجيباً أغبر ، وكانت أنفاسه يهضاء كالثلج !
وقد جلس المارد اللثيم ذات يوم في الشباك المطل
على البستان الأجرد الشاقى ، وقال يحاور نفسه :

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى
الآن ؛ وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .
ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف
ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج
الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذى
كان يعرفه الخريف لثيماً لا يحب أحداً غير نفسه !
وإن المارد لضطجع ذات صباح في فراشه
إذ سمع أنفاماً شجية تطرق أذنيه خيل إليه لعذوبتها
أنها من قرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز في
الطريق ، ولم تكن تلك الأنفام الراجية غير صدح
طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته . لأنه ما كان
سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه
أعذب ما فى العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهبته من حوله ، وريح الشمال
قطعت هزتها ، وجاءت المارد من النافذة نفحة
من أريج عبق جميل . فقال المارد فى نفسه :

على الشجرة فما كان أمرها حين أورت وازدهرت ، وما كان أسرع الأطيوار حين تساقطت عليها مغردة حائعة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى عنق المارد مسروراً . ثم انحنى الطفل على المارد فقبله ، فلما رأى أصحابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم الربيع ، فقال المارد يخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول معمولاً كبيراً فهدم به الجدر القائمة حول البستان . فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق في منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال في أجمل بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، جاءوا إلى المارد فحبوه وانصرفوا ...

وقد سألم المارد مرة عن صديقهم الصغير الذي كان يرفعه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... لأنهم لم يروه من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين يسكن . لشد ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير الذي قبله !

بقي الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان المتخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشاقه ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو رآه .

ومضت على ذلك السنون تتبعها السنون ، فشاح المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب . فكان يجلس على مقعد وثير ليتفرج عليهم هائناً مقتبلاً . وكان يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار

الجميلة . ولكن أجمل منها في نظري هؤلاء الصغار وفي صباح يوم شات ... وقد أصبح الشتاء الآن لا يفزع المارد ، فما هو الآن عنده غير إغفاءة قصيرة لا يلبث الربيع بملها أن ينفض بأزهاره وتهاويله . في صباح ذلك اليوم ، بينما كان المارد يرتدى ثيابه إذ بصر بشي هاله ، فنكذب نظره وكذب نفسه ... إنه منظر مدهش عجيب ! أفي الإمكان هذا ؟

شجرة حالية بالتوار الجميل في تلك الزاوية القصية وتحته طفله الصغير الذي أحبه واقفاً ؟ هروول المارد نازلاً يستخفه الفرح ، وجاز أرجاء الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ؟ وما كاد أن يقترب منه ويراها حتى طأ غضبه وازبد وجهه ، وسأله قائلاً حين بصر بأثار مسمارين على يديه ومثلهما على رجليه :

— من ذا الذي تجرأ تجرحك ؟ قل من ذا الذي تجرأ عليك ففعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا . ما تلك بجروح حقيقية . إنها جروح الحب !

وهنا استوت على قلب المارد الرهبة والحشوع

فخر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلاً :

— من أنت إذا ؟

فأجابه الطفل باسمًا : أنا الصبي الذي سمحت لي مرة باللعب في بستانك هذا ، حيث لا أخذك مني إلى بستانى الذي هو الفردوس

وحيثما جاء الأطفال عصر ذلك اليوم كما ذمهم وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد نثرت على جنباته الأزهار والتور الأبيض الجميل

« بناد » فمري شهاب الصبيدي